﴿فقد جاء أشراطها﴾

خطبة جمعة

لفضيلة الشيخ الدكتور
مطلق الجاسر
- حفظه الله -

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمد ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وإن شر الأمور محدثاتها، وإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، أعاذني الله وإياكم ووالدينا من النار.

معاشر الأحبة الكرام: لا زلنا نفيئ ظلال أحاديث المصطفى ﷺ التي يخبر بها عن أمور ستقع في آخر الزمان وقد وقع كثير منها، والتي يسميها العلماء: أشراط الساعة، والتي تدل على صدقه ﷺ، وهي كثيرة جدا، ومن ذلك: ما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ تُضِيءُ أَعْنَاقَ الإِبِلِ بِبُصْرَى»**.

هذا الحديث رواه الشيخان في صحيحيهما، وهو في أعلى درجات الصحة يخبر فيه النبي ﷺ عن أمر سيقع بعد وفاته ﷺ، وقد وقع هذا الأمر فعلا، ففي سنة أربع وخمسين وستمائة للهجرة الموافق: ألف ومائتين وست وخمسين للميلاد، وفي حَرة قرب المدينة المنورة، هناك كما تعلمون فوهات بركانية خرجت من إحدى هذه الفوهات نار عظيمة في تلك السنة، سنة ستمائة وأربع وخمسين للهجرة، أضاءت لها أعناق إبل ببصرى، وبصرى هي بلدة في بلاد الشام، تقع الآن في جنوب البلاد السورية بجانب مدينة درعا.

وقد حدَّث جمع كثير جدا من المؤرخين كابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية، والنووي والقرطبي في التذكرة وغيرهم أن هذه النار قد خرجت في تلك السنة فعلا، وأن أهل البوادي في نواحي بصرى رأوا انعكاسها على رقاب إبلهم، وقال السمهودي رحمه الله في كتابه: وفاء الوفا في أخبار دار المصطفى ﷺ أن خروج هذه النار العظيمة قد تواترت به الأخبار ولم يكذب به أحد.

من أخبر المصطفى ﷺ أن بعد وفاته بستمائة سنة سيحدث هذا الأمر؟ لولا أنه مرسل من عند الله ﷻ.

كذلك من دلائل نبوته ﷺ في إخباره بالغيب ما جاء في الصحيحين أيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«تُقَاتِلُوا قَوْمًا نِعَالُهُمُ الشَّعَرُ»** **«تقاتلون الترك صغار الأعين، حمر الوجوه، ذلف الأنوف، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطَرَّقَةُ»** وهذه الصفات الدقيقة التي أخبر بها النبي ﷺ تنطبق فعلا على الترك الأسيويين الذين يسمون التتار والمغول، والنبي ﷺ لم يرهم في حياته، ولم يختلطوا في حياته ﷺ بالعرب بعد، ومع ذلك أخبر ﷺ أن المسلمين سيقاتلونهم.

وقد وقع ذلك فعلا في عدة مرات من أعظمها هجومهم العظيم الذي اجتاحوا به ديار الإسلام في سنة ستمائة وست وخمسين للهجرة، حيث اجتاحوا بغداد وقتلوا عددا كبيرا من المسلمين، حتى إن نهر دجلة قد استحال لونه إلى الحمرة من دماء الناس، ثم اجتاحوا بلاد الشام وكان من أمرهم ما كان.

من أخبر النبي ﷺ بهذا القتال وكيف علم أن أناسا هذه صفاتهم سيقاتلون المسلمين؟

مما أخبر به أيضًا ﷺ مما سيقع بعد وفاته ما جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «فَإِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ قَالَ كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ» وهذا أمر وقع من قديم ولا يزال يقع إلى زماننا هذا حيث توسد الأمور بمختلف طبقاتها وأشكالها وأنواعها إلى غير أهلها.

وقد جاء في الصحيحين من حديث حذيفة ﷺ حديث عظيم جدا، قال حذيفة ﷺ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم حَدِيثَيْنِ رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا وَأَنَا أَنْتَظِرُ الآخَرَ، حَدَّثَنَا أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ، وَحَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِهَا قَالَ: «يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الْوَكْتِ ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ فَيَبْقَى أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجْلِ كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا» أي مثل أثر الحرق اليسير في مكان كان يوجد به شيء ثم رفع.

ثم قال ﷺ: «فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ فَلاَ يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الأَمَانَةَ فَيُقَالُ إِنَّ فِي بَنِي فُلاَنٍ رَجُلاً أَمِينًا» حتى يتحدث عن الناس أصحاب الأمانة ويعدونهم عدا، إِنَّ فِي بَنِي فُلاَنٍ رَجُلاً أَمِينًا، ويقول الناس للرجل: مَا أَعْقَلَهُ وَمَا أَظْرَفَهُ وَمَا أَجْلَدَهُ وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، تنتكس المعايير والمقاييس ويعجب الناس بمن ليس في قلبه مثقال حبة جردل من إيمان.

يقول الناس ما أظرفه، ما أعقله، ما أحسنه وليس في قلبه مثقال ذرة حبة جردل من إيمان، كل هذا يحدثنا عنه النبي ﷺ من أمر الغيب وقد رأيناه عيانا، وقد رآه الناس عيانا، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على ما قاله الله ﷻ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم:٣-٤].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

أما بعد: مما أخبر به النبي ﷺ من أمور ستقع ونحن نراها الآن رأي العين شاهدة على صدقه ﷺ ما أخبرنا به ﷺ من فشو الربا، الربا كما يعلم الجميع من كبائر الذنوب، وقال عنه ربنا ﷻ: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:٢٧٥].

إلى آخر الآيات والأحاديث الكثيرة التي تدل على حرمة الربا وشناعته، ولكن مع ذلك تجد الربا فاشيا منتشرا لا يكاد يسلم منه أحد، وقد أخبرنا بذلك النبي ﷺ، في معجم الطبراني الأوسط بسند صحيح قال ﷺ: «بين يدي الساعة

فشو الربا» وقال ﷺ كما في مسند الإمام أحمد وأبي داود وابن ماجة وغيرهم قال ﷺ: **«سيأتي على الناس زمان لا يبقى أحد إلا أكل الربا، فإن لم يأكله أصابه من غباره»**.

لاحظ كيف شبه النبي ﷺ الشبهات والمعاملات المشتبهة للربا من غبار، الذي يتحرز عن الربا غاية التحرز في ظل انتشار تعاملات الربا سيصيبه غباره، لذلك في صحيح البخاري يقول ﷺ: **«سيأتي على الناس زمان لا يبالي الرجل من أين اكتسب ماله أمن حلال أم من حرام»**.

هل ترون هذا إخواني في الناس اليوم؟ هل ترون الناس آخر ما يسألون عنه هل هذا المال حلال أم حرام، وهل هذا التعامل وهل هذا الحساب محرم أم غير محرم، أم عند الأغلبية الغالبة هذا في آخر قائمة الاهتمامات؟ هذا ما أخبرنا عنه النبي ﷺ بدليل ما نراه من صروح الربا في كل مكان، يراها الرائي ذهابا وجيئة.

ومما أخبرنا به أيضًا ﷺ مما سيحدث بين يدي الساعة، وكل هذا يدل على صدقه ﷺ وعلى صدق نبوته، ما أخبرنا من انتشار المعازف، يقول ﷺ كما في صحيح البخاري عن أبي مالك الأشعري ﷺ قال ﷺ: **«لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَ وَالْحَرِيرَ وَالْخَمْرَ وَالْمَعَازِفَ»**، يستحلون أي يجعلونها حلالا، ولا يرد أصلا في أذهانهم أن هذا حرام أو حلال، نفعله أو لا نفعله.

الحر: أي الزنا، والحرير: أي لبسه للرجال، والخمر: معروف، والمعازف، وقد يسبق بعضها بعضا في بعض الأماكن وفي بعض البلدان، الآن فشو هذه المعازف في كل مكان وإقامة الحفلات لها، وأصبح الذي ينكرها غريبا نشازا، من أين أتى، وماذا تنكر وقد انتشر الأمر انتشارا واسعا جدا، فلا نملك إلا أن نقول صدق رسول الله ﷺ حيث أخبرنا عن أمور نراها رأي العين، ولا يعني فشو هذه الأمور إباحتها، بل على المسلم إذا رأى ذلك أن يزداد يقينا بصدق نبيه ﷺ وأن يبذل جهده ناصحا مبينا محذرا منكرا حتى يلقى الله ﷻ نظيفا بريئا من هذه الأمور.

هذه بعض ما جاء في أخبار المصطفى ﷺ، والتي لا يملك العاقل أمام سماعها مع رؤيتها في واقعنا إلا أن يجزم بصدقه ﷺ، فأسأل الله ﷻ أن يجنبنا وإياكم الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يجمعنا وإياكم وأحبابنا تحت راية النبي ﷺ يوم القيامة تحت ظل عرش ربنا ﷻ.

اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين، اللهم لا تدع لنا في مقامنا هذا ذنبا إلا غفرته، ولا عيبا إلا سترته، ولا هما إلا فرجته، ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة إلا يسرتها وأتممتها يا رب العالمين.

اللهم فرج هم المهمومين، ونفس كرب المكروبين واقض الدين عن المدينين واشف مرضانا ومرضى المسلمين وارحم موتانا وموتى المسلمين، اللهم أمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا ووفق للحق إمامنا وولي أمرنا يا رب العالمين، عباد الله: إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون، فاذكروا الله يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.